اتحاد الكتاب العرب
Union des Ecrivains Arabes
Damas دمشق

شراع و عاصفة

محمد إبراهيم عيّاش



شعر

-محمد إبراهيم عيّاش-

شراعٌ وعاصفة

- شــــعر -

من منشورات اتحاد الكتاب العرب

١٩٩٨

تصميم الغلاف للفنان : اسماعيل نصرة

يموج على جسدي الانتماء
ويغرقني الوهم،
في أبحر الأمنياتْ.

أفكّ ارتباطي،
بلحن الغروب
وأرفع ظلّي.
أعانق عند ابتداء التصعلكِ
أعمدة القهر
أبني على جَسَد الضّلعِ،
أفئدة منْ هواءْ.
وأسرح بين ضياء البروقِ،
وشمس الشروق
وأرخي العناق لطفلة روحي،
وأمشي على قهقهات التّسكّعِ،

فـوق جبينــي،
خطـوطٌ،
وفـيّ
زفير النّـوى
وفـي داخلــي،
المُـزْنُ والاشــتعالْ.
وأنفـاس حلمــي
يرافقها مــاردٌ مِـنْ رمـادْ.

♦♦♦♦♦

// مساءات اليوم الآخر//

الوقت يزرع في وعاء الصّمْتِ،
أغنية اليتامى،
والطريق تتوهُ، بين سنابل الأحياءِ،
أو قل:
تختفي كل الدّروب،
مع المساءات الحزينة،
ساعةً،
تشدو المدينةُ،
دون موسيقى،
وساعاتٍ،
تناجي عالم الأمواتِ،
والقبر استعادته الحقيقةُ
والخيال أساورُ امرأةٍ،
تُتَصّبُ للجمالْ.

للوقْت أسماءٌ،
وللأسـماء،
آلاف اليـنابيع الغزيــرة
والمياهُ، تغـور فـي شـفةِ السّؤالْ،
مـا زالـت الأنـوار تسـتعلي،
ولكـن،
دون مسٍّ بـالنّوى
دون اشــتهاءْ
فـي موسـم الإحـداب؛
ترتفـع الميـاهُ،
ولا سـلامٌ بيـن مـاء البحـر،
والسَّـهل المغطـى باليبـاسِ،
فمـا تـزال النـارُ تسْـتهوي بسـاتين الحزانــى،
والـدّروب تشـعّبتْ.
وعواصـف الصحــراءِ،
تقتلـعُ النّخيـلْ.

كـلُّ النّسـاءِ القادمـاتِ،
زوابِـعٌ،
والعُـرّيُ،

أنثـى،
منْ خريـف الموسـمِ الآتــي
ومِنْ دَمْــع السّمـاءْ.
القـادمون إلـى المدينـةِ،
ثلّةٌ
والهـاربون مَـعَ الرّيـاحِ،
قوافلٌ
والقــاعدون،
يعـانقون الصّمْـتَ،
والدّنيـا،
رداءٌ للغَضَـبْ

*****

// الوّداع حقيقة في جعبة المطر//

إلى والدي الذي عاش يفتش عن السعادة لأولاده، وأفنى عمره يبحث عن الحقيقة التي غابت عن أعين الكثيرين.

عاش كغيره من أبناء جيله الغرباء الذين تواصلت الدّنيا في عيونهم ليوفّروا لنا ويقتصدوا على أنفسهم.

رحل رحمه الله وقلبه مطمئن، وروحه تناجي خالقها بعد أن طمأن النفس البريئة بحقيقة مبتغاه.

وقد لاقى وجه ربّه مساء يوم الثالث عشر من تشرين الأول سنة ستّ وتسعين وتسعمائة وألف.

رحمه الله وأدخله فسيح جنانه.

قبل أن أكسر صمْت الصَّمْتِ،
أعلنْتُ انحنائي،
لنداءاتٍ،
لقد حان الرّحيلْ.
وتقاسَمْتُ مع الباب،

لهـاث النّفس الصّـاعِد،
حيـن انشقّت الأسـماع،
لـلروح طريـقٌ...
والمسـافاتُ،
تنادي ظلّهـا الممدود فـي جثّتـهِ..
والأرض حبلـى ببقايانـا
وقدْ حـان الوعيدْ.

صـورةٌ لـلأرض،
فوق المـاء،
والأفـواه عطشـى،
ورذاذ النّفَس العـائدِ
لا يكفـي،
فإنّ الصّـدر فوق المـوْج،
للبحـرِ فضـاءْ

خرجت تسـبح فـي الرّيـح،
إلـى العـرش،
إلـى ربّ السـماواتِ،
ونـور الانتهـاءْ.
حملـت أنفاسُـهُ الأعـوامَ،

في لحظـة وقـتٍ،
ليرى مـن فتحـةِ العمرِ،
طريـقَ الإبتـداءْ.

كان رســماً،
وأراهُ الآن إســماً.
كان جسـماً،
وأراهُ الآن جُرحــاً،
ينزف الأيّامَ،
مَعْ نـزف الدّمـاءْ.

رَفَعَ الكفّيـن
/حين امتثلَ المـوتَ/
إلــى الأعلـى،
ونــادى:
اتركوني، أرحـل اليوم إلى اللّـهِ،
إلــى دار القـرارْ.
ودَّعَ الدّنيـا،
وأرخـى جسـداً للعِشْـقِ،
كـانتْ سكراتُ المـوتِ،
فـي أوّل بـرزخْ.

ولَعَمْـري!

إنّمـا الدّنيـا رداءٌ،

لوجـود عـانق الضّـوءَ،

وظـلٌ لبقايـا غربـاءْ.

حلّقتْ فـي العـالَمِ العلـويِّ،

تلكَ الـرّوح،

في يقظــةِ حـزن وارتخـاءْ.

كلّهـمْ كـانوا حزانـى،

يرقبـون المـوْتَ،

إلا قهقهـات الرّيــحِ،

كـانت ترسِلُ الأمْـواجَ،

في لحظــة صمْتٍ،

كـانت الأحـلام فـي صـدري بركانـاً،

ولا صـوت لشــحرورٍ،

فقد حلَّ المسـاءْ

غرسَتْ أغصانُـهُ الخضـراءُ فـي العُمْـق جـذوراً،

أثمـرتْ للوقْـت،

وامتصّـتْ مِنَ الأرض النّقــاءْ.

عندمـا أقبلـتِ الرّيـحُ،
تهـاوت غرسـة،
صـارت رداءً للـدّمِ القـاني،
وظـلاً للرّمـادْ.

وتـوارتْ بهجـة الأيّـام،
في مقـبرةٍ،
ترقص للمـوْتِ،
وغاب البدر مـنْ بعْد التّمـامْ.

وأبي مـا عـاش إلاّ
لحظـة المـوْت،
ودقّـاتِ الـزّوالْ.

وأرى مـنْ فسـحة الحلـم،
نداءً أزليّـاً:
كلّ مـا كـانَ علـى الأرضِ هـواءْ.
والذي رتّـبَ هـذا الكـون،
باقٍ،
فـي الأراضيـنَ،
وفي كـلّ سـماءْ.

حينمـا قابلْتُـهُ،..

في آخـر الأوقـاتِ،

أرخـى عقلـه للذكريـاتْ.

ودعـاني؛

لأرى مـا لا يُـرى،

في بـاطن العقـل،

وفي عمـق الحيـاةْ

وأرانـي عاديـاتِ الدّهْـر،

فـوق الشّاشـةَ البيضـاء،

والدّنيـا علـى الـدّولاب تمشـي،

حينمـا كنـت صـغيراً،

أشـتري مـنْ سـلّة /البيـاع/ أحلامـي

وأمتـص مـع الحَلـوى،

ربـاط العُمْـر،

والعُمْـرُ بطـيءَ الأمنيـاتْ.

١٩٩٦-١١-١٥

// وجع في خاصرة//

أغفو على أنقاضِ صَمتي،
ساعةً،
استلّ مِنْ وجعي،
شرارة صحوتي
إثماً تمدّد في الوريد،
وأينعَ الثّمر الحزين بغصن شرياني،
وأوردتي يدغدغها الرّدى.

وتلاقَحَتْ بين انطباقِ الجفْنِ والعينِ،
افتراضاتي،
تناولْتُ القصيدة؛
أحتمي بردائها المنسوج مِنْ غضبي،
ومِنْ صَمتي،
ومَنْ قطر النّدى،

وأسير وحـدي،
تحت ضوء غـار فـي نَفْسـي،
وأعلنـتُ البدايـةَ،
لاحـتراقي مَوْقـدا،
وتغيـب مثـل الشّـمس أحلامـي،
وأحـلام البـلادِ،
وتنتهـي عنـد امتـداد الرّيـح والأمـواجِ،
ترتعـدُ المدائـنُ والسّـهولُ،
ويكتسـي زمـن الـتراخي والجفـافِ،
رمـادَه المسـفوفَ،
فـي عيـن الحقيقـةِ،
تبـدأ الكلمـات،
تخـترق التّسـاؤل والنّـدا

أسـلمْتُ لـلريح انفعـالاتـي،
وأطلقْـت العنـان لريشـتـي،
فتعـثرتْ بوعـورة الحـرف المنضّـدِ،
والطّريـقُ بعيـدةٌ،
مـا بيـن قـرص الشّـمس والحّـراسِ،

ما بيـن الحقيقـة والخيـالِ،
وبيـن جدران الصّعـود تمـرّدا.

لا شيء أغلـى مـن هـواءٍ،
بعـد أن سـكنت بجـوف الصّـدر،
أبخـرة السّـكونِ،
تنـاثرتْ عنـد امتـداد الضّـوء،
أشـلاءُ الغبـار ببيـدرٍ،
مطريّـةٌ أيّامُـهُ،
احتقنـتْ بخـاصرة السّـماء،
وكوّنـت ظـلاً ظليـلاً أسـودا.

مِنْ أين أبـدأ؟
والسّـؤال مبعـثرٌ!!
دوسي علـى سـمعيه يـا أشـعارُ،
والتهمـي الجـوابَ،
فإنّ فـي الأنفـاسِ مَتسّـعٌ،
لأسـئلةِ المـدى

مِنْ أينَ أبدأ..؟
والنجوم تباعدت!!
والبحر عكرَه التموّج،
والدّخان يعيث في قلب الفضاءِ،
مُعَرْبِدا.

ماذا لو انتعلتْكَ أحذية اللئيمِ،؟
وداعبتْك أصابع التنينِ،؟
والنّاس استعادوا؛
سيرة التطبيل والتزمير،
تستهويهمُ الغجريّة البلهاءُ،
عند تفتح الشهواتِ،
وانطبق الفؤادُ على الفؤادِ،
استيقظتْ عند الصّباحِ،
وأشعلتْ في الصّدْرِ
قنديلَ الهدى.

•••••

ـ فأنا نولد من جديد ـ

-١-

حينما أطبقتِ الأرضُ على جدران روحي،
ورَمَتْ أرجلَها الدّنيا على جسمي،
تململتُ،
ولكن دون جدوى،
فغبار الطّلع يمتدّ،
ويزداد امتدادا
وأرى من فتحةِ الآلامِ أحلاماً،
وأغفو دون وعي،
استبين الجَسَدَ الممتدّ،
منْ أوّلِ مشهدْ
يبدأ العرض بلحنٍ عربيّ،
يرتدي ثوباً من الديباج،
والأنفاس تصّاعد

منْ بيـن الشّفاه القرمزيّـةْ

-٢-

دارَت الدّنيـا،
أمـامي،
طفلـة لا تعـرف الحقْـدَ،
ولا الخـوفَ
وخلفي ألـف ذئـبٍ يتوعَّدْ.

-٣-

ارفعـوا الأغـلالَ عنّـي،
واتركونـــي
لأرى مـنْ حلمـةِ النّهدِ حيـاتي،
وأرى آخـر جـرْح عربـيّ
/قبـل أن تطبـق أجفـاني/
علـى الأخشـابِ،
أمضـي دونمـا ثـوب،
وأرخـي جسـداً للـرّيح عنـد النّهـر،
أرمــي جثّتـي بيـنَ العـذارى،
دون قيـد أو حسـابْ

-٤-

أتلقّى،..
منْ خلال المشهد الثّاني
نداءً:
أوقظوا هذا بكأس منْ نبيذ.
تنزف الغيمة في كلّ فصول السنة الزرقاءِ،
سيلاً مِنْ دماءْ.
وعلى الأرصفة العمياءِ،
جاءوا بأكاليل من النعناع والزّعترِ،
حطّوها على قبر شهيد،
أوقظتهُ الغارة الأولى،
وصار القبر منْ دونِ غطاءْ.

-٥-

/ دثروني/
قبلَ أن ينفتح الجرح،
فإنّي لغة الموتى
وإنْ فارقهم هذا الرّعافْ.

عتّموا قبري بأشياءِ رمادي،

واتركونـي ألِـدُ الآنَ،
فـإنّي لا أرى بـدّاً مـن النّـوم العميـقْ.
ستّ دقّـاتٍ
تلتْها دقّـةٌ
وارتفـع النّهـر،
وطـافَتْ فـوق وجـهِ المـاءِ،
أشـلاءُ الزهـورْ.

ويهـوذا ينشـر الرّعـبَ،
على أفئـدة العـالم،
والشّـرق الوعـاءْ
وبنـاتُ الفـرح المنسـيّ،
يلبسْـنَ رداء العيـدِ،
فالوقْت بقايـا مـنْ حريـقْ.
أوقدوا للعيـد نـاراً
وارفعـوا الأطبـاقَ
فـالموت تدلّـى،
افتحـوا أقبيـة المـوْتِ،
فقـدْ يبتـدىء العنـفُ،
علـى دربٍ مـنَ الشّـوكِ

علـى أرصفـة اللّحْـن المراهـقْ.
كان لابدّ مـنَ الزهـد،
فإنّ المـاء يغلـي،
والدّمـاء ابتدأت لحـنَ الرجـوع.

-٦-

وتـدور السّـاعة الخرسـاءُ،
والوقـت تلاشــى،
وعلى قمّـةِ هـذا الجبـل الممتدّ،
نـيرانٌ،
وغيـمٌ،
ودخـانْ
كان نيسـان علـى السّفح يصلّـي،
وبريـق العيـد آتٍ،
ربّما أخّـره الوقْـتُ،
وسـوّاهُ بـأصواتِ المدافِـعْ
وأنيـنُ الخـوْفِ فـي معصمـه النّـاريّ،
في زنـد الضّحى.
والأرجـوان اسـتنفرتهُ الرّيـح نحـو البحــر،
والغيـم تـلاشـى بيـن أفخـاذ الجبـالْ.

-٧-

كيف لا يُعرفُ للسّمتِ مكانٌ،
بين أشلاء الضحايا،
وصراخ النَّفَس المخنوق منْ أنّاتها،
نمّى حنين العطر في حبّ النّدى
عند اللّقاءْ.

-٨-

في فصولِ الرّعب،
كانتْ وحدها الشّام تصلّي،
عند محراب الغروبْ.
وعلى بوّابة الأقصى،
يهوذا جائع للموّتِ،
يمتصّ دماءَ العاشقينْ

لم يجدْ عند قدوم اللّيْل أفقاً،
ينتمي لّليلة الحمراء،
لا فرْق،
فإنَ التيه في صحراءِ موسى،
زرع البعدَ،

وكانت فرقعات العيدِ،
عربون الحصادْ
وعلى التفاحة الحمراءِ،
أسماء البداياتِ،
وأنثى للفسادْ.

-٩-

ويجيء الطفلُ ممهوراً بلون البذْر،
مشحوناً بنور الكهرباءْ،
صرخ المدفعُ،
والعيد تلاشى
سمّروا الوقت بأعوادٍ منَ الكبريتِ،
والصّبح بقايا منْ حطبْ.
بعدها،
لا يعرف الموقف إلا اللهُ والرّيح،
وأحلام فتاة
عانقتها ليلة العّري،
على شطّ الفراتْ.
ونداء من أعالي النيل آتٍ،
من وراء الأفُق المجروح

واللّيل تربّــى فـي قواريـر النّســاءْ.

-١٠-

غَسَلتْ أدمعـة العشّــاقِ،
آثامَ البــلادْ.
وبقايا جثث الأطفـالِ،
يعلوها ركــامٌ مـنْ رمـادْ.
ورؤوسٌ أينَعـتْ للقطـــفِ،
ما زالـت علـى أرصفـةِ العنْـفِ،
وآلاف السّــبايا
زفّهـا صَمْتُ الصّبـاحْ.

وتـدور اللّيلـة الحمـراء،
والدّنيـا علـى دولاب سـحرٍ غجـريّ،
رقصتْ أرقامُـهُ السـوداء،
فيِ دائــرة العشـق الـترابيّ الوليـدْ.

-١١-

خيَّمتْ أعمـدة الصَّمت علـى الجسـم المسـجّى،
وعيـون تـذرف الدّمـعَ

وأعصاب جسوم باردةْ.
كانت الأزهار تمشي
/وعلى نقر دفوف الفرحِ المنسيِّ/
فوق الماء،
والعُمْرُ على كفِّ غريبْ
صرخةٌ منْ دمنا المسفوحِ،
في الأسفارِ،
موجاتٌ منَ البحر
ومنْ أنفاسِ هابيل وآدمْ

-١٢-

كيف لا أسكر منْ خمر الجنوبْ
والعناقيد تدلّتْ منْ بساتين الفضاءْ؟!
كيف لا اشرب منْ زعتره البريِّ،
ألحان الصبايا
وأبي كان يصلّي بين أشجار الصنوبرْ؟!

-١٢-

لا تعدّوني وحيداً،
فبقاياي وأنفاسي على الدّرب

تعدّ الزّبد الآتـي مِنَ البحـر
تعدّ الجثـث
الموتـى
وللقبر فضـاءْ
وورثْتُ الحزن مزروعـاً،
علـى أسطحة الخمسين حقـلاً،
وتجمّعتُ أداري غضبَ المـوجِ،
وأعـوام الحصـادْ.

هُرِعَ البحـرُ،..
وكـانت جثث الموتـى علـى شطآنه تـزرقّ،
والشـمس علـى أجسـادهم،
تلهـو مـع الإعصـار،
والقـوس تراخـى.
وشعوب أنعـم اللـه عليْهـا،
تستعير النّفس المجـذوم،
منْ أقبيـةٍ مـلأى بحُـبّ الأرض،
تأتيك الدّمـاء على جنـاح النفس الهـاربِ مِنْ سـجّانِه،
والأرضُ حُبلـى.

-١٣-

ويجيء الصّبح منْ دون ثيابٍ
والمساء العربيّ التحف الرّمْل
وما بان الهلالْ
وعلى طول المسافاتِ،
وجوه خطّطَتْ للحرْب،
ساوَتْ بين ما يحدث في بيروت منْ قتْلٍ،
وما يجري على أرضِ البسوسْ.
وأرى الأطفال يبنون منَ العيدان بيتاً،
وتجيء العاصفة.

-١٤-

مُثقلٌ بالهمّ،
والأقمار في قانا تدير الحرْبَ،
والوقت يمدّ الشهوة العمياء،
والأرواح تصّاعد نحو الله،
منْ بين الرّمادْ.
وتلاميذ يهوذا،
ينسجونَ الثوْب مِنْ خيطٍ تدلّى،
أتراهمّ!

يشـربون المـاء مـنْ صرخـة رعْدٍ،
بـأكفَ بَسَطت كـلّ الأصـابعْ؟!
أم تراهـم!....
يعقـدون الدبكـة الآنَ
على ألحـان ضيفٍ قرويّ
عادَ مـنْ مشـوارهِ..
يمشـي علـى عكّـازةِ الصبّـح المهـاجرْ.

-١٥-

افتتحْ جلسـة هذا اليـوم،
لا تنـسّ التماسـات الأقـاربْ.
والتمـس- مِن ساسـة البلـدان- عـذراً
وانشـر الرّعـبَ،
وباسـم الأمْـنِ،
جهّزْ فرقة مـنْ فِرَقِ الإنقـاذِ،
فالإرهـاب قـد عـمّ العواصِـمْ.
واسـترحْ فـي آخـر الشّـرفة،
تلـقَ المَـوج مذعـوراً،
وتلـقَ البحـر بـالأمواج عـائمْ.

-١٦-

بعد أيّام تدور الانتخابات،
فهيّء صفقة للخوف
واعبر بين أجساد الصّنادِيقِ،
وجدّدْ كفناً للموْتِ منْ بيروتَ،
وادفن حكمة اللهِ،
على أرض الجنوبْ.
ويجيء الوفد منْ حيفا
وفي جعبته التوراة،
والحاخام في حضرته وحيٌّ ،
وأسماء يهوذا،
ازرعوا فالموسم الآتي حصادْ.
لم تبحْ بيروت بالسرّ،
فقد داهمها البؤس
وأرخى في ثنيّاتِ صِباها
وجعَ النّوم
وبؤس اليقظةْ.
لم تعدْ بيروت أسرار الحكاياتِ،
وآلام المسّراتِ
وبنتَ الشفقةْ

لم أجدْ عند ارتحالي عن مرافيها
بحاراً تحمل الرّبانَ
والأيامُ سكرى بالعواصفْ
هي بيروتُ،
أرى فيها حياتي
وأرى في ظلّها الهادي حكاياتي،
وفي خضرتها نسْج الحياة الهادئةْ.

-١٧-

سقطتْ أعمدة النورِ،
بأعماق البحارْ.
ودموع القمر المجروحِ،
أنهارُ دماءٍ،
وتلاوات صلاة.
جَدْولوا أسماءَكم قبل سقوط الموْتِ،
في مدخنة النيرانِ،
فالدّنيا سياج مِنْ لَهَبْ.
واصفعوا الصّبح ببرقِ شتويّ
وانسجوا منْ /جمة الريحان/ في قانا
ثياباً لمساءات الطربْ.

علّقوا فوق جدار الليلِ،
مصباح انتظارْ.
واغسلوا الأدمغة الحمراءَ،
واسترخوا على قطعة جسم عربيّ،
واكتبوا إعلانكم،
منْ صرخةٍ أنثى
على أجنحةِ الطّيرِ المسافرْ.

-١٨-

تلِدُ الغيمة تفّاحاً ولوزاً،
ويجيء الرّيح،
تغدو الأرض قنديلاً لأحلام اليتامى/
بعد أن يغمرها الطّوفانِ،
تمتد خلايا لحنينِ الأمّ،
تشوي جسد اللّحن،
على نيران دُفلى.
والنخيل الباسق الشّمسيّ يجثو،
/بعد أنْ فرّقهُ البعد/
حنيناً لإله التّمر- للطّين،
لربّ التائهينْ.

-١٩-

ويريدون انفجار الطلقة الأولى،
تماماً عند حدّ السّيفِ،
في البصرة،
أو في نهر دجلة.
ضمرتْ أجنحة النّسْرِ،
وما بانت على الجوّ الحرائرْ.
واستُبيحَ الوطنُ السّفليّ،
والحقل مشاعْ
موسمٌ يحصده المأمورُ،
والباقي حرير وضرائبْ
واستباحوا كلمات العُري،
مدّوا جزر البحر بآلاف الثّعالب.

-٢٠-

حَمَلتْ أسماءنا الرّيحُ،
إلى الرّمل،
وبتنا نزرع الشّمس،
على أرداف بنتٍ غجريّةْ.
وتلوّنا بلون الشّاشة،

اعتدنا على قطفِ المسّراتِ،
ويمتدّ النداءْ،
تُطفأُ الأنوار،
لا يبقى سوى ضوءٍ بحجم العَرْضِ،
والصّالة تكتظّ بحشدٍ القادمينْ.
وصراخ الأمّ،
يمتدّ على أطراف زلزالٍ
مع الرّيحِ،
وأطفال على قارعة الجسْم المسجّى،
والأب المنكوب،
/عند الأفق المكسور/
برقٌ شتويٌّ
فإذا أظلم قاموا
وإذا أصدر وهجاً،
دخلوا بين شقوق الأرض،
ظلّتْ وحدها /قانا/ تلوكُ العُرْيَ،
تمتدّ على ظهر السّحابْ.

-٢١-

سمعتْهُ الرّيحُ يهْوي،

في جنــون الغـارة الأولـى،
على أنجـم صُبـح تتدلّـى،
مـنْ غصـون الأبريـاءْ.
وملأنا جوفنــا مـنْ زرقـة البحـرِ،
ومنْ أنفــاسِ قـابيلَ،
فقدْ ماتَ أبــو بكـرٍ،
وعـادوا يشـهرون السّيفَ في وجـه بـلالْ.

-٢٢-

يطبـق الصّمْـتُ،
ويرتـدّ صـدى صـوت المغنّـي:
وحدهـا الشّام تصلّـي،
وحدهـا الشّـام،
بكبشـين تضحـيّ،
واحـدٌ عـنْ عــرب الأرضِ،
وكبشٌ عـن رجـالٍ
((صدقوا مــا عـاهدوا اللــه عليـه))
إنّهُ.. عيـد الضحيـةْ
إنّه.. أرملــة العـام،
بقايـا كلمـات،

كتبتْ فوق أنينِ الأرضِ،
في صمْتِ الرّمادْ.

-٢٣-

وعلى كلّ جدار عربيّ،
صورة لامرأةٍ لا تعرف الحُبَ،
ولا تستنشقُ العِطرَ،
ولا تلبسُ ثوبَ النّوْم،
فاللّيلُ تغذّى سهرَ الأطفالِ،
والصبح بقايا في سراويل البناتْ.

-٢٤-

ويُنادى لصلاة العيدِ،
والحجّاج يرمون الجمارْ،
وأبو جهْلِ،
يواري جسد الشّيطانِ،
عنْ رمي الحصيّاتِ،
وقد جاءوا بأمرِ صادرٍ عن سيّد الحرب،
بأن:
لا رجم بعد اليوم:

فـالرجم مـنّ الإرهـابِ،
والحجّـاج روّاد سـلامْ
عدّلـوا الأركـان:
فالدنيا علـى بـاب نظـامٍ عـالميّ مستتابْ.

-٢٥-

ويجـيء العيد محمـولاً علـى الأكتـاف
/من قانـا/
بثـوب أحمـر (يبكـي علـى الحلـم المضـاعْ).
غصـتِ السـاحة بالنـاس
وقـد غادرهـا الأطفـال
مثنـى وثلاثـاً وربـاعْ.
وعلـى مفـترق الأقـوالِ،
تاهت لغــة الضـادِ،
وغـارت فـي شـقوقَ الأرض أحلـى الكلمــاتْ.

-٢٦-

واعتليْـتُ الشـّارع المجـروحَ،
أبنـي وطنـاً مـنْ علـبِ الكـبريتِ،
فـوق الأرصفـة.

فـي حـدود اللامكـان المنتهـي،
بين دمــوع الَحـزَنِ،
الآمـالُ فـي زنزانـةِ الغيـب،
وفي عتمــة غيمـةْ.

شـتمتني هــذه الأرض
وصــدري لـم يكـن إلا وعـاء لاحتـواء الرقـم السّــريّ،..
فـي خـاصرتي الوقـت،
وفـي فكـري حـروفٌ مقفلـةْ،
موغلٌ فــي غابـة الصّمـتِ،
علـى أجنحـة اليـأسِ،
وفـي مركبـة الليـل المغـادرْ

-٢٧-

وتجــيء الرّيـحُ منْ قلْـب الصّحــارى
مثقـلاتٍ بالنّعــال.
كيفما تمضي تلاقـي مدنـاً من ملـحٍ،
تلقى طرقــات مـنْ غبـارْ.
وتلاقي لغة فـي دفـتر العنـفِ
بقايا منْ رمـادْ.

التمسْ عُذراً،
وباعدْ بين أفخاذك يا بيتُ
وهيِّء مسكناً للاعترافْ
لا تقلْ:

للبحر موْجٌ،
فالبحار ابتدأت شقّ المسافاتِ،
إلى الشّرقِ،
لتجتاح البواديَ والقفارْ
ومنَ الأسرارِ،
ما أوقد في ذاكرة الحلمِ،
خفايا الانكسارْ.

١٩٩٦-٥-٢

♦♦♦♦♦

//عاصفة الضّياع//

-١-

... وأودّعُ الصّحـــراءَ،
متّجهاً إلى الشطآنِ،
فالشمس استعادت لونها النــاريّ،
أذكر أننــي،
خبّأتها يومــاً بلبّ الليلِ،
أذكر أنّنـي واجهتها بحقيقةِ المشـوارِ،
في وضــح النّهارْ
أعـدو..
وتسبقني المســافة
والطريق طويلــةٌ
والبحـر يخفـي مـاءهُ...،
خلـف الجبـالْ.
وأشمُّ مـنْ خلـف السّتارِ،

ملوحـة الأيّـامِ
والأوقـات رَطّبهـا النّـدى،
وكـأنّني /والريـح تصـرخ/
/والسـماء كئيبـة/
ضيّعـت خارطـة الطّريـق
وربّمـا الأمطـارُ
أتلفـتِ الـزروع،
وغـيّرتْ /بهجومهـا المجنـون/
شـكل الأرجـوانِ،
وأفسـدتْ مـا نظمتــهُ الأرضُ،
والحَـراسُ،
يقتلعـون أعمـدة الرّخـامْ.

واللّيـل لا يخفـي الحقيقـة
خلـف أسـوار الظـلامِ،
فللنهـار الشّـمس
والإشـراقُ
والفجـر النـديّ،
كـأنّ مزرعـة الشّـموع،
تـزفّ أغنيـة الصّبـاح،

وللصباح رسالة الأملِ الكبير،
وللعصافير استراحات المدى.

وأريد أن أتسلّقَ الجدران،
فاللّون الرّماديَ العقيمُ
أضاف للجسْدِ النحيل العُقمَ،
والرّجل المكلّس،
يحتمي بمدينة الأحلام،
والأسوار عرّاها الخريف،
فلا تمدّنَ السّؤالْ
ولربّما انتعلتْكَ أقدام الشّظايا
لا بديل الآن،
لا تسألْ عن الأسباب
فالثوار قد ركبوا الكآبة
والغزاة يسحّلون علي الشّريط
يمارسون الرّعبَ،
في زمن التصحّر،
والمياه تفور في بطن الخليقة،
والدموع تجفّ منْ مقل النسّاء.
تجفّ من عيّن السّماءْ

ولابديل لفرحةٍ،
تمتصّها شفة السّؤالْ.

وأريد أن ألقى الجدار بلونه الأصليّ
أمحو كلّ ما كتبوا على صفحاته..
أحميه منْ زيف الشعاراتِ المليئة،
بالعواطف والعظاتْ،

-٢-

ارداك حبّ الأرض،
والوطن المكهرب،
والطّريق،
البعدُ،
يرفسُ،
والدّواليب استعادتْ سيرها،
والزحف بارقة التأمّل،
والسّماء شديدة الدّوران،
والأشواق أغنية العصافير،
التي رحلتْ إلى المدن البعيدةِ،
تحتمي بمدينةِ الصفصافِ،
شتّتها صهيل الرّيح،

راحلة المدى
وملاحم التبديل؛
يأسرها الضّياعْ.

-٣-

أتقمّص القدسَ الجريحةَ،
والدّماء تنزّ من جبل /المكبّر/
والشّهيد بجوفَه...
مازال حيّاً
يُمسك المصباح في يده..
ويخفي تحت أجنحة اليد الأخرى
دماء الانتحارْ

وهُرعْتُ حين اهتزّتِ الأرض،
وكانَ الصّوت كالزلزالِ،
يخرج منْ شقوق ترابِها،
اللّه أكَبر،
صِحْتُ:
هل عرفَ الشّهيد،
بأنّنا بعْنا دروع الحربِ؟!

أمْ إنّ الشـــهيد،
قـد انتهـتْ أحلامُـهُ..
وأراد أثمـان الدّمــاءْ.؟!

-٤-

يا للفجيعــة!
إنّني قـد أرتديك،
وأخلـع الأيّـام عـنْ جسـدي،
وأرتشـفُ اللظــى،
لتغـورَ أعصــابي ببطـــنِ الأرضِ،
والنقّـار يحفـرُ جبهتــي،
يمتـصُّ منهـا الكبريــاءْ

-٥-

سُحُبُ الهواجـس،
فـي سـماء حقيقيتـي،
وقوافل الشّــهداء،
والصّبـحُ المغـبّرِ بــالظلامْ
أسـوار مملكـة الظّنـون تُحيطانـي،
والقـادمونَ مِـنَ البعيـدِ،

يقسّمون الفجرَ
ينسحبُ الطريقُ،
يتابعُ الحراسُ تقسيم المسافةِ،
والدّروب تضيع في الصّحراء،
والوّقتُ ارتدى فصلَ الجّليدْ.

-٦-

الرّابضون على جبالِ الرّعب،
ينتشلونُ أشلاء الضّحايا
مِنْ تفاصيل التّراب،
ومِنْ ظلامِ اللّيلِ
مِنْ صَمْتِ البلادْ.
نسجوا قناع الوَجْهِ،
مِنْ وجهِ الدُّجى،
وملابسَ التغييرِ،
مِنْ نَوْح العبّادْ.

-٧-

قل للشهيد:
/إذا أردتَ العيش بين ربوعنا/

غَضَّ البصـرْ
/وإذا رغبتَ النّـوم تحـت سـمائنا/
صُبَّ الرّصـاص بـأذنك الوسـطى؛
فـإنّ الأذن تزنــي.
ربّمـا الجـلاّد لا يرضيـهِ حكـمَ الجلـدِ،
فـالرجم البديـلُ إذا تجـاوزْتَ حـدود الأمْـرِ
أو أمعنْـتَ فـي لفـت النّظـرْ.

مـاذا أقـول لعصبـة الشّـهداء
/إن شـقّوا الـتراب/
وأحضـروا صـور المعــاركِ،
والدمـاء تـنزّ مِـنْ أجسـادهمْ؟!
أأقـولُ:
قد فضّ الزّنـاةُ بكـارة الأنثـى،
وصـار الطهْـر، راحلـة المسـاءْ؟؟!
أم أنّ أعـلام الكتـائب،
غـيّرت ألوانهـا،
وتقمّصَتْ ثـوبَ الدّهـاءْ؟!

-٨-

سأودّع الشّطآن،
متّجهاً إلى الصّحراء،
متّكئاً على أضلاعِ مَنْ جرفتهُمْ الأحلامُ،
والشّمس المضيئة،
ربّما تحنو على جسدي،
وتمنحُهُ النّقاءْ.
وأودّع الشّهداء، حيثُ تجمّعوا،
وأخيط مِنْ جنح الظّلام قصيدتي،
وأقولُ للشّعراء:
إنّ اللّيلَ، لا يخشى سوى مُرِّ القصائدِ،
والدّماءَ يردّها سيْلُ الدّماءْ

-٩-

لابدّ منْ شَجرٍ
يُغطّي عَورة الغاباتِ،
فالصّيف،
الشّتاءُ،
الرّيح،
عاصفة الشّمال،

تمـزّق الأثـواب، عَـنْ جسـد الطبيعـةِ،
والحيـاء يغـور فـي جـوف العـراءْ.
وكأنّمـا الأيّـام
تـورقُ بالشّــموس،
وأنّ أسـماء الضحايــا،
ترسـمُ اللوحــاتِ،

والمنفــى
يردّ
الاعتــذارْ.

*****

// شهوة ضمير //

فـي شـروق الشّـمسْ،
بـانَتْ صـورة لامـرأة اللّيـلِ،
فـأرخيتُ سـجودي.

وتَملْمَلْـتُ علـى إيقـاع جسْمٍ،
عاثرٍ في لـذّة الوقْـتِ،
وعـانَقْتُ بـذور الشّـهوةِ،
انشـلّت مفـاتيح ندائـي.

أيقظـتْ ألحـان روحـي،
طفلـة الأمّسِ،
وما عـادَتْ مـع النّـور اغترابـاتي،
وأسـرار نشـيدي.

عُدْتُ طفلاً،

أغسِلُ الذنب بدمعي،

وأشمّ العطف

من أنفاس أمّي.

وأرى في زحمة المشوار وحياً،

أرسلتْهُ الرّيح فانسلّ رقيقاً.

في ينابيع وريدي.

عُدْتُ، والأيّام طَيفٌ

لمصابيح التشهّي.

وأضاءت العيد،

فالليرات في جيبي،

شفاهُ امرأةٍ،

قبّلْتها،

واهتزّ عرش الحُبّ،

أدمنْتُ...،

وبعثرتُ سلاماً منْ سلاماتي،

وأحلاماً على أكتاف موْجٍ،

مِنْ جنونِ البحرْ،

والرّبانُ يرخي الحبلَ للرّيحِ،
ويرميني على الشّطآنِ،
أحتّك بحفّاتِ شرودي
وتناجيني،
نداءاتٌ منَ الرّوحِ،
إلى منْ تنتمي،؟؟!
قلتُ:
احتراق الوقْت،
يمشي في تجاعيد جبيني،
وعلى كلّ شعابي،
رهبةٌ تقرع أبوابي،
وأنسى عند أعتاب جوابي،
حذرَ البوحِ
وأسرار اتّقادي.
عانقتني،
قبل أن يشتد عودُ الشهوةِ العمياءِ،
أعلنْتُ:
بأنّي لغةٌ للعشْقِ،
أهتزّ على عرْشِ المسرّاتِ،

أنــادي:

(يا ليــالي الوصـلِ عـودي)

وأبـوح الآن بالسّــر،

فخـذْ أغلـى تلاوتـني،

وأذن لصــلاة الفجـرْ يـا عشْـقُ،

وسـلّمْني رمـــاد الأرضِ،

بــارك فـي سـجودي.

خُذْ تحيّــاتي،

وذَعْنــي،

أحْمـلُ العـبءِ

علـى أكتـافِ صمتــي

قِطَعاً مـنْ غَضَـب النَهـر،

وأكياساً مــنَ الفقْـرِ،

وأحجـارَ المَعــابدْ.

ليتنــي،

أصطـادُ مِنْ عينيكِ يـا أنثــى،

بريـقَ الوَعْـدِ،

ألتـفّ رضيعـاً

يُخصيـعُ الصّدر المعــانِدْ.

رفضتنــي،
ولمــاذا؟!
كيـفَ؟؟!
لا أدري!!

فقـد أصبحـتُ رسْماً،
بيْنَ لوْحـاتِ التّحـديَ.
صـرتُ عنوانـاً علـى الرّمْل،
وأخبـاراً مـع الطـيرِ،
تلوّنـتُ بلـون (اللّمـة الكـبري)
وجمّعْـت رحــالي،
فــوق دولابٍ
عـبرتُ الجـوّ،
في طـائرةٍ مـن قصـب النّهْـرِ،
وأوراقِ الجرائــدْ.

◆◆◆◆◆

//جسد مُستباحْ//

تطاولَ عنْق النّهار الغريب،
نهارٌ تجلّى على المشْرقينِ،
مضى،
واستباحك قصرُ الشّموعِ،
وما كنت تدري،
نهارٌ يجيء،
وليلٌ مع الريح يمضي
ربيعٌ تهاوى،
بنارِ الدّموعْ

مساؤك يأتي،
وقدْ أوغلّتْ في رؤاك الدّماءْ.
ولَستَ المكنّى،
فصبحُ النّساءِ؛

فضـاءٌ فسـيحْ.

مسـاؤك يـأتي؛
علـى راحتيـهِ،
بريدُ الكـلامْ
وكُنْـتَ الرّخيـصَ،
وفي مقلتيـك نـداءُ السّـلامْ.
دَليلُـكَ هـامَ، بـوادي الرّجـوعْ.
أمـاني تركْـت علـى الضّفّتيـنِ،
بكـاءَ العـذارى
وعُـرْيَ النّحيـبْ

تلـمُّ بصمْـتٍ،
دمـاءَ القتيـلْ.
نشـرْتَ عليهَـمْ؛
شـجوب اللّواتـــي.
ولـذْنَ بظـلّ النّخيـلِ،
النّـواحْ.

تبـارِك باسـم الزّعيـم المفـدّى؛

صياح الديّوك.
على جبلٍ منْ رماد السّنينْ.
وتمشي على جسدٍ مُستباحْ.

نهارٌ مضى،
حين كنت تغطّ بنوم عميقْ
غطاؤكَ خيمة وهم،
تجوب السّماءْ.
ولَيلُكَ يحدو
وكنت جدارَ الصدى
للغناءْ
عقرْتَ لوحدك ناقة صالحْ.
وجئتَ بقوْمٍ جديدٍ يصالحْ
وما سامحتْكَ دماءُ الشّهيدْ.

جياعُكَ ناموا؛
ولم يستفيقوا،
فقدْ ألهبتهُمْ سياط الرّغيفْ
وعُدْتَ بحلمٍ طريّ خفيفْ
بنيتَ حضارة مجدٍ تشظّى،

علــى قهقهــاتِ

رُعــاةِ النّهــودْ.

وقلْـتَ: انتهينــا.

وأيّ انتهــاءٍ.

بـدون ابتـداءٍ يعيـد الشّـريدْ؟؟!

صروحُـكَ يـا صـانِعَ المجْـدِ،

مـالتْ علـى سـاكنيها،

وملْـتَ تحنّـي أكـفَ المسـاء،

لعلّ الصّبـاحِ يـزفـّ العريـسْ.

*****

//إلى امرأةٍ أعرفها//

تتوحين مثلَ انفتاح الجَروحِ
على شفةٍ غضّة نازفةْ
رَمَتْك السّنونَ بسهم خطاها،
وكنتِ الدريئة،
كنتِ الرّداء للحْن اليتامى،
تلوكين أرغفةً ناشفةْ.

رأيْتُ على وجهِك المستدير،
حكاية حزن،
يلمّ الشّظايا
وبسمة عشْقٍ
قديمٍ، قديمْ.

وفي داخـل القلـب،
كـان النّـواحُ،
وكـان الخريـف يلملم أوراقـهْ الرّاجفـةْ

.

ردّدْتُ إليْـك لغـات السّـنينِ،
رمـالَ الصّحـارى،
دمـاءَ القتيـلِ،
ومـا عـاد هـابيل إلا ابتسـامة عشْـقٍ تشـظّى
ونـزْفـِ دمـاءٍ
بلـونِ المسـاءْ.
غرامـك أدركَ أنّ الفضـاءَ،
كبيرٌ، كبيرْ.
وأنّ الوصـول إلـى ضفّـة النّهـرِ،
ليـس انتصـاراً،
ومـا يسـتطيع الوصـول إليـه،
سوى قـدرٍ فـي عـروق القتيـلْ.

تسوقينَ كـلّ الجـراح إليـهِ،
إلى البحـرْ.
قطعان إثـمٍ تمنّـى،

وليْتَ التمنّـي يعيد الحيـاةَ

إلى ما نـراهُ،

بعيداً، بعيـدْ.

أراكِ علـى لوْحـةِ العُمْـرِ،

لَوْناً جديـداً،

وأيقونـةً،

في جـدار ترمّـلَ،

عنـد ابتـداء الهـوى والشّـبابْ.

فلا تعذليـهِ،

ولا تـتركي اللّحْنَ يمشـي الهوينـا،

فما أسعدَ البعـدُ دربـاً

وما أنتـشَ القلْـب،

بعد اليبـابْ.

أخاف عليـكِ منَ القهـرْ،

يا امـرأةً لا تليـنْ.

ألمّ خطـاكِ،

وأقذفهـا

في بحـار السّـنينْ

وأخشـى الرّجـوع إلـى شـاطـىء البحـرْ،

حيـن الرّيـاحُ،

تهبَ تثورْ

وأخشى عليكِ ارتفاع المياهِ

فإنَّ الرّمالَ،

تجوب البحارَ

وما غرقَ البحْرُ

بالعارفينْ.

أيا امرأة أدخلتني إلى مقلتيها

أفتّش عنْ بسمةٍ،

في سراب الجنونْ.

وعن ضحكةٍ

في خفايا الضّمير،

وصرخةٍ ردّ على العاصفةْ.

◆◆◆◆◆

// وشربْتُ مِنْ ماءٍ حزين //

اللّيل حولـي ينسـج الأفكـار،
مِنْ خيـط الحقيقـةِ، .
والدّماء تـنزّ مَـنْ بَدنـي الجْريـحْ.
والجُهـد ضـاق بداخـل الصّـدر،..
الـدّروبُ...
تنـوء بـالنّفس الذبيـح؟".
وشوّشْـت آذان النّجـوم،
وراعنـي الفجـرُ المراهِـقُ،
والسّماء حزينــة،
والصبّـح يحلـمُ،..
والنّعـاسُ،
وما تـزال الشّـمس تحـت ردائهـا،
والـروّح تمشـي بيـن أنسـجة الدّخـانِ،
وبين جمـر فنائهـا،

والموتُ يوعدني بحفّارِ القبورِ،
يدقّ أبوابي،
إذا انقطعتْ خيوط النّورِ،
وانتشر الظلامْ.
أمتصّ آلامي،
وأفكاري تبعثرني مَعَ الصّمْت الطويلْ.
ما بين جدرانٍ وسقفٍ..
تنبت الأحزانُ،
في ليلٍ بطيء الذكرياتْ.
وتطير فوق شواطئ القلب الكسير نوارسٌ،
وتسدَ باب الأفْقِ،
أجنحة السّحابْ.
هجمتْ على الحلم البعيدِ،
كواسِرِ الصّمت المسجّى،
حول أنوار الضحى،
والحبّ تثقله الخطى،
والقلب يُشوى بالحقيقةِ،
مثلما النيران تسري
بين أضلاع الشّموع.

وتبعثرتْ سحبُ المسافة،

في سماوات الرؤى،

أمتصّ منْ نهْد السّخونة جرعة،

أشوي على نيران صدري،

وجبة الأمس المروّى بالحنينْ.

جمّعتُ أعمدة الدخان بقبضتي،

عسكرْتُ في قلب النّوايا.

حينما اشتدّ الصراع بداخلي،

وشربْتُ منْ ماءٍ حزينْ.

◆◆◆◆◆

- فجيعة مدوّرة

حلّتْ جديلتّها المدينـةُ..
والدّمـوع مشــاعلٌ،
غيمٌ تمدّد فـي سماء الوجـهِ،
ينتشـر الضّبـاب،
علـى القنـاديل المضيئـة..
والدّخـان يحيض فـي رحـم الـرّؤى.

تلـد المدائـنُ عرسَـها،
في غفلــة الصحو المشـتّت فـي المـدى.
ومدينتـي حبلــى،
يدغدغهـا المراهِـقُ،
تتضـح الأحـزان مـنْ صمْت الأجنّـة فـي البطـونْ.

هبّـتْ لفرحتهـا القبـور،

وزينتْ درب العـذارى،
قادمات مـنْ لهيـب الوقْـتِ،
يلبسْـنَ الـرّدى.
ومدينـةَ السُـمار،
في جنح مـنَ اللّيـل استفاقتْ؛
تعـزف الألحـان فـي الصّمْـت الرّهيـبْ.

للشّـدو ملحمـةٌ،
وللأشـجار أغنيـة الرحيـل.
لبسـتْ عروسـتنا المسـاءَ،
وأيقظـت ليـل المدينـةِ،
والهواء يمـرّ مـنْ بيـن الحرائـقِ،
والقلـوب يلفّهـا ثـوب السّـوادْ.

تتبـاعد الكلمـات عنـد لقائهـا،
سفن تشـتّتها البحـارُ،
زوارقٌ تلـد العواصــف،
والغيـوم تجـدّد الليـل الحزيـنْ.

تـتزاحم الأضـداد فـي شـريانِ مملكـة التفجّـرِ،

للمدى قمرٌ
وللكون اتّساعْ.

وتزيح أستار التهجّدِ،
ليلة العري المعنّى،
والرّوابي تبسط الكفيّن،
تستجدي،
ويفضحها العراءْ.

وتهبّ عاصفة السّموم،
على المروج الخضر،
تقتلع الزهور،
وتفسد التاج المحلّى بالصّفاءْ.
تتراكمُ الكلماتُ في شفةِ السّؤالِ،
تغور في الأنفاس أجوبةٌ،
وينتثر الكلام على شفاه الانحدارْ.

أتزيح أزهار البنفسج يا خريفُ،
وتترك العيدان صرْعى،
في مهبّات العراءْ؟؟!

أم أنّ فيك قساوة التهجيرِ،
تقتلع الجذور،
وتترك السّيقان تندب عُرْيها،
بين احتضار وانتهاءْ.

يتساءل المتسائلون؛
عن الّذي نزفتْ بداخلهِ الإجابةُ والدّماء،
وعن الذي أرخى ستار الصّبح
واعتقل الضّياءْ.؟!

وتفوح رائحة البنفسج،
منْ شرايين الزّوابع
تمطرُ الأوقات لحن الانتظارْ.

ومدينتي خجلي،
فللترحال أغنية الأيامى،
والقلوب تئط منْ سوط الفجيعةِ؛
ارفعوا هذا النزّيفَ،
ورتّبوا زمن التوجّهِ،
عند باب الانشطارْ.

ما كـان للوَقْـع الحزيـن،
سـوى ضمـاد الجَـرح،
فـي /سـيمون/[1]
يشـتعل التّوهـج،
شـمعة تصحـو،
وشـمعاتٌ تذوب علـى رمـالِ الانهيـارْ.

وتطلّ منْ بيـن الغيـوم أشـعةٌ،
وتطـير فـوق نعوشـهنّ نـوارسٌ،
قدمَتْ مـنَ السّـفر البعيـدْ.

تتمـايل الأشـجار مـنْ خبْـطِ العواصـفِ،
تنحنـي،
للوّقـت سيفٌ
للرّدى قمـرٌ
يودّعـه المسـاءْ
وأبـو الفجيعـة يصلـب الأوقـات،

---

(1) طفل نجا من الحادث الذي أودى بحياة جميع المعلمات والسّائق في مدينة درعا عام ستة وتسعين وتسعمائة وألف .

يسلخ جلدها،
منْ غير /بنجٍ/
رقصة الموت الأخير،
على الدواليب الرخيصةِ،
دون وعي،
عانق الدنيا،
وأجهش في البكاءْ.

واللّيل يصحو،
والنّهار يدّق في نعش الأنوثةِ،
صرخة الأم الحزينة،
والدّموع تعاتب الأمل الذبيحَ،
وتندب الحظّ المكلّل بالسّواد.

والقبر يفتتح النشيد ببسْمةٍ،
يتلو من الآياتِ
فاتحة البنفسج،
لانتشال الرّوح منْ غضب العفونةِ،
وانتقاصات الزمان

بحديقـــةِ الآلام،
تجتمـع الطفولـة،
تنشـد الأشـعار،
تتلو ما تبقـي مـنّ حـروف الصّمـتِ،
تجمعها علـى أكفـان مـن رحلـوا،
علـى ظهـر السّـفينة،
والرّدى يجثـو علـى بـرّ الأمـانْ.

١٩٩٦/١٢/٢٠

◆◆◆◆◆

- لِمَنْ أشكو؟

لِمَنْ أشكو؟!
وكلَّ الناس حطوني على جسدي،
ومصّوا ريق ألحاني
وخلّوني أعاني مِنْ جفاف القولِ،
أخلو ساعة ارتابُ مع نفْسي،
وأمشي مرة أخرى،
على كفّين مِنْ ياسي.

لِمَنْ أحكي حكاياتي،
وما سطّرتُ مِنْ ماضٍ،
على أوراق ذاكرتي؛
غدا ظلاً يلازمني،
وغابت في مخابيها،
خيوط النّورِ مِنْ شمسي.

قناديلي تنوس الآن خلف الغيم،
والأعوام مثقلةٌ بأمواجٍ،
تدحرجها رياحِ البحر،
والأثواب باليةٌ،
وما عادت تغطي عورتي الأشجار
والراعي يبيع السّهل،
والقطعان
والمرْعى.

◆◆◆◆◆

عواصف

غبار منْ بقايا ليلة هوجاء،
غطّى بسمة الإصباحِ،
في جسدي
على بوابة الآمالِ،
في غابات مملكةٍ،
تنازعها حنينُ الأهلِ والأحبابِ،
في نفْسي،
ملايينٌ منَ الأطفالِ،
في نَفسي،
شجيرات منَ اللبلابِ،
في أعماق ذاكرتي،
صبايا يقتحمن البُعْدَ،
باسم الله،
باسم الأرض،

والدّنيا علـى أهداب سنبلةٍ،
على أجفـان نائحـةٍ،
على قـبرٍ،
تـوارتْ فيـهِ أسـماءٌ،
وأقنعـة بـألوانٍ مزيّفـةٍ،
وأغنيـة تردّدهـا لمعجبـةٍ،
ينام الهجـر فـيٍ أعمـاق بهجتهـا،
علـى أرضٍ مبللـة،
وفي أنّـاتٍ مذبحـةٍ.
تذكرهـا بماضيهـا
تذكّرهـا بصـوت خـافتٍ،
ينساب فـي الفجـر،
بآيات مـنَ القـرآنِ،
والدّنيـا مكوّمـة بعينيّهـا،
ومزرعـة مـنَ الأرواح والأنفُـسْ.
وصوتٌ مـنْ أنيـن البُعـدِ،
يوقظهـا:
أنا آتٍ أعـدّ اللّيـل،
أرمي فـي خزائنـهِ،

ثياب الهجرْ،
أتلو منْ نسيج العينِ،
آياتٍ على أرواح منْ رحلوا،
على الغاباتِ،
والأشجار يابسةً،
على زيتونةٍ مصّوا خلاياها،
على أشلاء مَنْ زُرعوا،
سياجاً للغدِ الآثِمْ

يجيء الصوت محمولاً على الأيدي،
على أهداب سنبلةٍ،
على دقّات قلبٍ،
لا يجيدُ الرّقص،
والأنغام مقفلةٌ،
على أسرار فرحتها.
على إيقاع أغنيةٍ تردّدها:
– دعوني أكشف الماضي،
واستولي على أسرار مَنْ رحلوا،

- دعونـي أقتـل النّسـيان،
- حطّونـي علـى الأدراب عاريـةً،
- وخطّـوا فـي جبيـن الغيـب أغنيتـي:
أنا عطشـئٌ لمـاء النهـر والجـدولْ
لأتربـة يبعثرهـا فـم المعـولْ.
لفـلاّح يداعبُـه...
حفيـفُ القمـح بـالمنجلْ.

ويوقظنـي بريـق الوعـد..
أصحو مثـل أغنيـة مـع الصّبـحِ،

تُرانـي!
أنبـشُ الأنقـاضَ عـن طفـل أُداعبُـهُ...
وعـنْ مهـرٍ جمـوحٍ يعتلـي غَضبـي،
وعـنْ أنفـاس نائحـةٍ مـن المـاضي،
لتسـترخي علـى جسـدي.

وأغفـو مـرة أخـرى؛
عصـافير الهـوى فـي القلـب تطربنـي،

وأجنحـة تشقّ الصمْـت.
مروحـة يغازلهـا عشـيق الريـح تلفحنــي،
يدٌ تلتـفّ حـول الخصـر تائهـة،
وأخـرى تحفر الكلمـاتِ فـي تكويـرة النّهـدِ،
تعد اللّيل ثانيـةً بثانيـةٍ
وتكتبـه...
بــلا وزنٍ.

مبعـثرة عنـاوين الهـوى والحـبّ
متقلـة بذاكـرة،
يشـتّتها سـكوتُ الليـل،
أوراق يجمعهـا حنينُ البعــد،
في وقـت خريفـيّ،
وفي جـوّ سـديميّ،
ويرميها كمــا شـاءت لـه الأقدارُ،
فـي دوّامـة العصـرِ.

علـى أرجوحـة الطرقـاتِ،
تسـترخي حكايـات الغـد المعقـودِ بالآمــالِ،
أطفال تربّوا فـي أتـون القهـر،

والصياد يرميهم بسهم الجوع،
يلقي في عزائمهم،
هموم العيشِ واللّقمةْ.

لهم في ساحة التحرير،
أجساد تنميّها خلايا الشرّ،
في أحضان من ذبحوا وريد الحلمِ،
والدّنيا معلّقة على أثداء أرملةٍ،
عل أجفان نائحةٍ
وعبد الله ما زالت تساوره شكوك العصرِ،
أسماء معلّقة على الجدرانِ،
تجّار يحطّون الزمان بكفّة الميزانِ،
أوصاف مطرّزة على أكمام فرحتهِ،..
وما زالت تلاحقهُ عيون القصر،
والشّمس استعادت نورها الأكبرْ.

جمالٌ حمّلوها فوق طاقتها،
مصابيح تنير الدّرب،
مصيدة قوافلهم،
جسور يعتليها الخوفُ،

فـي أضـلاع فرحتهـم،
معلّقـة بأحبـال مـنَ الإرهـاب والعسـكرْ.
وطقطقـة يليهـا صـوتُ زمّـارٍ،
وآلافـ منَ الحــراسِ،
باسم اللـهِ،
لا تمشـوا علـى الطرقـاتِ،
فالأمطـار قادمـة منَ الصـحـراءِ،
والأجـواء عاريـةٌ،
وعبـد اللـه ترصـدهُ..
عيـون اللّيـلِ والمجهـر

•••••

ذكريات من الماضي

-١-

طاعِنٌ في السِنّ،
هذا الجبل الغارق في أحلامهِ،
والأرض ملهى.
في رحيل الوقْتِ،
هاجت مدن المِلحِ،
وما زالَ يعدّ الزمنَ الرّخو،
وينوي سفراً عبر المسافاتِ،
على ظهر سفينةْ.
أثقلوا النّعش بجسم للغد المجهول،
واجتازوا حدود المقبرة.
يتنادون على ظهر جوادٍ خشبيّ،
عشقتهُ الرّيح،
فانساب على دفّة موجةْ.

وشوشتْني هـذه الأرض،
وكـانت صـور التـاريخ فـي شـريانها،
أعمـدة الرومـان فـي قلعـة بصـرى.
ويعـاد الزمـن المـاضي إلـى ذاكـرة الوقْـتِ،
ويزداد مـع البعـد الرحيـلْ

عندمـا كنـت أعـدّ الحجـر المرصـوص فـي الـدرّب،
ويلهو فـي دمـي الأطفـالُ،
كان الوقـت أحلـى.
وزرعْت الزمـن الآتـي،
على نبضةِ قلب غـار فـي شـريان منفـى.

-٢-

عندمـا هـاجمني الظـلّ،
تلبّسْتِ افتراضـاتي،
وفـي أعلـى إثـارِاتي،
تجـاهلْتِ انتبـاهي.
وتحوّلـت إلـى هبّـة صيـفٍ،
لفحـتْ وجهـي،
وغـاصَتْ بين أعصـاب الـبراكينِ،

ومرّتْ وأنا اللاهي؛
وصمت الشّمس يشويني،
ويشوي جسدي،
قربُك والبعدُ،
ويزداد احتراقي.
وتصوّرت بريق النّور في وجهك بدراً،
وتجمّعتُ على أصداء روحي،
أسبرُ الماضي
وأمتصّ رحيقاً منْ شفاهِ اللّوز،
منْ روح فتاتي.

حينما أسمو مع الشّعر،
إلى إغفاءة الطير،
وأطوي ألمي،
تسبقني الشّمس وتحنو
وأرى مزرعة العشّاقِ في دربي،
متاهاتٍ وأغفو
وأرى فوق أديم الماء أجساداً لأحلى أمنياتي.

-٣-

في جنـاح الأهـل والـدّار،
وفي لحظـة فكـرٍ، بيـن سـكّان المقـابرْ.
تحتسـي شـــهوتَها الأرضُ،
وتنـدى جبهـةُ الوقْـتِ،
فلا تبـكِ،
فإنّ الزمنَ القـادمَ ليـلٌ،
والنّهـارات خنــاجرْ.

-٤-

تتراءى حولـك الدّنيـا شـباكاً،
وأرى الخمسـين عامــاً،
تنتـف الإحسـاس مـنْ جسـم مغـادرْ
وأرى آخـر جـرْح مـنْ سـهام الزمـن القاسـي،
علـى أعمدتـي أكذوبـة
منْ غـير شـعر أو جدائـلْ
وأراكِ الآن أمّـاً تتلظّـــى،
والـذي كـان علـي الأرصفـةِ الصمّـاء،
رسـماً مـن محطّـاتِ قطـارٍ،
عـبر الوقـت وأرخـى خلفـه زوبعـةً،

عـانقت الجيـلَ،
وهـاجت بيـن سـيقان المنايـا.
ليتني أبنـي علـى الأعـوام جسـراً،
سقفه صرخـة طفلٍ،
وعلـى جدرانــهِ..
لوحـات رسّامٍ ونـاظرْ.

-٥-

ومنَ الحلـم أنـاديكِ،
رسـولٌ يحمـل الزَّهَـرَ،
أنـاجي طيفك السّـاحر
أبني تحـت أقدامـك بيتـاً،
منْ بيـوت البـدْو،
أرعى غنـم القـومِ،
وألقـي جسـدي تحـت سـماءٍ،
سـاعتي نجمٌ،
وظلّـي خيمـة الغيم المسـافرْ.

لا تقولـي: اشـتعل الشّـيب برأسِــهْ،
أو تقولـي: وهـن العظـمُ،

فإنّي لغة أكتشف الفعل من الفاعل،
أبني منْ عبير الحبّ،
أسماءً لأنثى،
رسَمَتْ في داخلي صيحاتِ شاعرْ.
وتلاقينا على لحن التراتيل،
وعشنا ألق المنفى على جذع من اللّوزِ،
حَبَسْنا آخر الأنفاسِ،
في رعشة صَمْتٍ،
ودخلنا عالم النّشوةِ،
لا ندري،
أشرٌّ ما فعلنا،
أم بدأنا نعكس العدّ
فقد يأتي زمان الزوبعةْ.

-٦-

عاتبيني،
واهدمي أعمدة الجسر،
وصبّي أرق اللّيل بكأسٍ،
واشربيني،
واشربي ما خلّف الإسراف مِن دمْعٍ،

وخلّي لغـة الهمسِ تنـادي شـفتيا،
واطـردي عـن نفْسـكِ الأوهـامَ،
واستلقي علـى أنغـام روحـي،
واعـبري الـدّربَ،
ونـاجي لغـة الأطيـار،
وابنـي للهوى عُشـاً،
علـى غصـن منَ الصـفصـافِ،
أرخـى جـذرهُ فـي أرض بـابلْ.

لا تقولـي:
اشـتعل الشـيب،
فمـا زال بقلبـي مـرح الأطفـالِ،
في روحـي،
اخضـرار الزمـن العـابرِ،
والعشْق جـوادي
سـامحيني،
ودعي النّفـس تعـرّ الجسـد الغـارق فـي أحلامـهِ،
عنـد التلاقـي.
فأنـا الآن بقايـا

وصراخ الأمس في جسمي
شظايا،
والغد الآتي،
حريقٌ منْ هشيم اليومِ،
يسري بين أعواد احتراقي

اغفري ذنبي،
فإني حينما جدّلْت شَعر اللّيل،
أفردت خيوط العتمة السوداء،
عند الفجر،
أفرغْتُ اشتياقي
وخلعْتُ الصّيفَ عنْ جسمي،
وأبدلت ردائي،
لا تقولي صمت الشعر،
فإن الشعر صوتٌ
يختفي بين ثنايا الرّوح،
في أنفاس ثائرْ

-٧-

لا تقولي انتحر الماضي على كفّ غريبٍ،

أو تــردّى
أو تقولــي: شـرب الدهـر خطانــا،
أو تحــدّى

-٨-

هذه أعزوفـة،
منْ زمنٍ خـطّ علـى أعتابـه الفقـرُ إشـاراتٍ،
وأرخـى جسـداً للعشـق،
في دنيـا المسـافاتِ،
بقايا منْ ركـام النّفـس،
/شيءٌ مـن لعـابِ الغيـم/،
والطوفـان فـي الـوادي،
وقد كنّـا صـغـاراً
لا نـرى إلا ضجيـج النـــاس،
والقطعـان بـاتت يعتريهـا الخــوف
من مـوتٍ علـى ضفّتـه الأخـرى
ويبـدون حيــارى.
يبسـط المـاء ذراعيـه علـى أجنحـة الـوادي
ويـزداد التحــدّي.

وكما قــالوا:

فإنّ الماء قـد جُـنّ جنونُـهْ

وبريقُ السَّـخط بـادٍ فـي عيونِـهْ

إنّهُ ينتظـر الوقـت،

ليقضـي الشـهوة العميـاء

حتّـى يُقبلَ الصّلـحُ وترتـاحَ جفونُـهْ.

-٩-

لا تقولـي:

كـبُرتْ أجنحـة الأيـام

فالأطيـار يبـدو ضعفهـا،

تبحث عن حبّة قمـحٍ

ورغيـف الخبز سيفٌ مشـهرٌ،

في جبهــة الجـوع بحدّيـنِ،

وجمع منْ نسـاء الحـيِّ

يرفضـن التقـاط السّبل الصـافي مِنَ الحقْـلِ،

فقدْ يبتـدىء الإضـرابُ،

مـنْ أول صـوت

صادرتـه الرّيـح

منْ عهـد سليمانَ،

إلـى عهـد السـلاطينِ،
إلى أخر نبتـةْ.

وتوارثْـنـا مـنَ القمـح بذاراً
تمـرغُ الأرض بـزرعِ عاشـرتهُ...
هبّة مـنْ زحمـةً الرّيـح،
ومنْ قطـر الهتونْ.
ويجـيء الصّبـح مغمـوراً بصَمْـت اللّيـلِ،
مقطـوراً بـاهداب الجفـون

-١٠-

لملمي يـا صرخـة الأمْـسِ،
نـداء الكفـن الغـارقِ بـالدّمعِ،
وصبّـي مـنْ دم الأعـوام ألحانـاً علـى الأوتـار
وأشـوي جسـد التـاريخ،
وأكويـهِ بنيران الشّـظايا،
واجعلـي مـنْ غضـب الدّهـر دواءً،
لأب مـا عـاد يشـفيه نقيـع العشْـب والزّهـرِ،
فهذا زمن الإبحـار فـي دنيا الخطايا
وصُراخ النّفسِ الهـاربِ،
لا يُشـفى بمـاء الـوردْ،

والنيران تشتدّ إذا آزرها الرّيح وتعلو

لا تقولي:

وهنتْ أعمدة الصّبر،

وأحنتْ ظهرها الأيّامُ،

والدّنيا على الدولاب

تجتاز المسافاتِ،

وما زلنا نصلّي منْ طلوع الفجرِ،

حتّى آخر الليلِ،

على جُثةِ هذا الميّتِ الآتي مِنَ البُعْد،

نصلّي كلما عاندنا الطقس على سجّادة الريحِ المسافر

ونعضّ الرّوح بالأنياب،

حيناً نشرب القهر؛

فتحمرّ شفاهُ الحَزَنِ الحاضر والآتي

ونغفو في فراشِ الشّهوة الخضراءِ،

نبني وطناً مِنْ دَبَقِ الماءِ،

ونجتاز العوائقْ.

•••••

- بيروت

لَمْ تبحْ بيروت بالسّرّ،
وقد داهمها البؤسُ،
وأرخى في ثنيّاتِ صباها
وجع النّوم،
وبؤس اليقظةّ

لم تعدْ بيروت أسرار الحكاياتِ،
وآلام المسرّاتِ،
ونبت الشّفقة
لم أجدْ بعد ارتحالي عنِ مراميها
بحاراً تحمل الربّانَ
والأيّام سكرى بالعواصفْ

هـي بـيروت،
أرى فيهـا حيـاتي
وأرى فـي بحرهـا الصّـافي
حكايـاتي،
وفـي أرزتهـا
نسْج الحيـاة الهادئـةْ

◆◆◆◆◆

ـ ثورةٌ منْ أجل ليلى ـ

...

وأزرع فيك طيوبَ البنفسج،
منْ شذراتِ النسيم العليلِ،
وأتركها نشوةً للقاحْ.

على صهوتينِ،
نردّ الرّحالَ،
ونبني على جبلٍ من رعافٍ،
خيام التلاقي
فتنزف أغنية للربيع،
وتنمو على جسد الأقحوان
براعم زهر،
تكشّف عند انبلاج الصّباحْ

أمـا ألفتّـكَ الضـفـافُ،
ومـالتْ
علـى خنجـر المـوتِ،
عنـد الغديـر،
وأغفـت عيـون المهـا
واسـتمالت علـى راحتيـكَ،
نـهـودُ النـهـارِ؟؟!.
وعنــترةٌ؛...
يتـأمّل أسـرابه التائهـاتِ،
علـى صرخـة الزمـنِ المسـتباحْ.
روايـة عِشـقٍ،
وقصّــة راحْ.

ويـوم تنـادي رجـال القبيلـة،
أورق حلـمٌ علـى سـاعديْهِ؛...

لليلـى،...
يضمّـد جـرح المسـاءِ،
ويعلـو علـى صهـوات الرّيـاحِ،
يلملـم دمـع العـذارى،
وتبـدو علـى وجنتيـهِ

دموعُ الجْـراحْ.

لليلـى،

يعدّ نجـوم السّماءِ،

ويعلنهـا ثـورة للعبيـد،

ويمشـي علـى وعـرات الـدّروبِ،

يوبّـخ حريّـة الشّـرفاءْ.

لك النصــرُ،

يـا أمسياتِ الحنيـنِ،

فقد كنتِ حلمـاً،

ترويّـن روحـي

وكنت غزالـة عشـق قديـم

تبعثر دهشـة تلـك العطـور

علـى عتبـاتِ الرحيل الأخير

وجلجلة فـي فم الزوبعـةْ

*****

ـ لقاء في وادي حزيران ـ

على شفة الحلم،
كان اللّقاءْ.
وكان صباحُكِ
لمعةَ برقٍ،
ووعدك حرفٌ
وحبّك نهرٌ
وفي مقلتيك حروف الهجاءْ
قرأت على قسمات انتشائكِ
صرخة أنثى
يداعبها سفرٌ مستباحْ
أعود إليك/ وما ألفتني كؤوس المدام/
على صهوةٍ منْ رموش الأقاحْ

أقبلُ وجنة ذاك النّسيم،
وأعدو على أمسيات الدّروب،
على نغمةٍ من نفير الشّبابْ
ثلاثون أفنيتها بانتباهْ
فمثلك /لو صمت العمر/ صوتٌ،
ومثلك/ لو حرد البحر/ موجٌ،
فأنت الوصيّة،
أنتِ عناق السّحاب الطهور
تنامين فوق سرير الرّياح
وتحضنك النّسمة الهادئة.

•••••

- دفّات الرّحيل

آمنت أنّ البعد أندى منْ صرير القربِ،
عند تلاطم الأمواجِ،
في الليل الخرافيّ الطويلْ.

والحلم يُدني منْ سعادته البداية،
في ذراع السنديان،
على بساط منْ حرير الوقتِ،
يدنو كلّما انتعش الرّبيع على المجاهلِ،
زهرة حبلت بنور اللّون.
فانتشر السّواد على ذراع النّشوةِ الخضراءِ،
في الصّبح المندّى،
في انتشار الضوء ما بين الزهورْ.
حلِمَتْ، وكنت على مسافة خطوتينِ،
مِنَ الّذي اشتعلتْ بخضرته البيادر،

أرتمــي،
والطفل يدنو مـنْ ميـاهِ البحـر،
لا يقـوى علـى الإبحـار
والجسم المسـجّى نبضــة
هامت علـــى جسدٍ مـن الـرّوْح المعطّـر،
وارتـداء المســتحيلْ.
مـنْ ذا يسـوق إلـى دمـي تلـك المسـافات البعيـدةِ،...
خطوتــان،..
وأصعـب الأوقــاتِ،
دقّـات الرّحيـلْ

اللّيلُ آيتنــا،
وكدنـا نصطلـي بحـرارة الصّمــتِ،...
الحـرونْ.
هي ســاعةٌ، والعيـب ينـأى
والأيـادي ترتـدي قفّازهـا المنســوجِ،
من نشوة هـذا الجسـد الملقـى،.
ويهـتز السّـرير،

للطّير أغنية ملحّنةٌ،
وللنّخل تسطفاء الزهرِ، منْ بين الفصولْ.

يا بيدر العشّاق:
هل منْ فارس يقوى على شدّ الرّحالِ،
ويحتوي سرّ الجبابرةِ العظامِ،
ويكتوي بالنّار عند تفتّح الشّهوات،
يلبس عرينا،
ويشمّ أنفاس التدهور والغرورْ
يا أذرعات: [1]
أما رضعت الجدّ من ضرع البطولات القديمة
منْ قلاع الفرس والرومان في بصرى
ومن آثار مملكة التوهّجِ
من حقول القمحِ،
في /الخمّان/ [2]
واليرموك ينهي غطرسات البدء، في صُبحٍ إلهّي جميلْ.
يا أيها العشّاقُ:
إنّ الموت أقوى منْ حياة ترتدي عشق الشموع.

---

(١) درعا
(٢) اسم مكان يزرع بالحبوب وهو أغنى منطقة بعلية في درعا.

سبحان من أعطى الطبيعة شكلها،
وبنى على طغيانها الناريّ،
صرْحاً من عصيّات الدّموعْ

يا شامُ:
إنّي عاشقٌ،
أهواك منذ تَفَتّحَ النوّار في نهديّكِ
وانفجرتْ ينابيع الحنانِ،
على الرّوابي الثائرات
هاتي دنان الخمر واقتربي،
وصبيّ نشوة العشق الإلهيّ القديمِ،
فإنّ في نفسي ابتهالات
وفي روحي صهيل.
أمشي على الأرض المخضّبةِ الشريفة حافياً،
وأرى على طول الطريق،
دماء من /نحبوا/
وانتعل الطريق،
هي تربتي،
والأرض لا ترضى التهادنَ،
والتماع الجرح يشويني،

وتشـوي جسدَ السحـراب
أشـلاءُ الشـهيدْ.

أتـرى!
تعـانقت القلـوب علـى ضفـاف الـرّوحِ،
وانتعـش الضبـابُ،
وأورد الحقـل ابتهاجــاً،
وانتشــى الليمـون فـي الجسْم الذبيـحِ،
وأورق الشّـجر المعطّــر،
مـنْ سياج الزيزفـون
هي أمّنــا،
والنــاس يطـوون الخطيئــةَ،
والذنــوبُ تـذوب فـي مـاء الطـهارة والصديـد.
قال:
اهبطـوا منهـا جميعـاً واستروْا العـوراتِ،
فاللـه استوى فـوق السّماواتِ العُلــى،
وقوافــل الأرواحِ،
راحلة إلــى يـوم الوعيدْ.
هي تربتــي،
والأرض عطشـــى،

والليـالي أوقظـت سـمّارها،
رعدٌ على برقٍ علـى مطـرٍ،
وتنتـثر الجّديلـةُ،
مثلمـا انتـثرت علـى طـول السّرير وسـائدٌ،
ويخيّم الصّمت الرّهيـب علـى القلـوب،
وتختفـي لغـة اللّسـانِ علـى ذراع اللّمـسِ،
والقبـلات فـي ليـل التشـكّل والحيـاه
ألقَتْ جميـع ثيابهـا،
وتثـاءبتْ.
مِنْ بعـد أن أذَتْ صـلاة الفجـر،
وانتشـرت أشـعتّها
وأورقـت الجبـاه

هي نعمـةٌ،
أنثـى تجسّـد عريهـا،
وغوتـهُ بالتّفـاح،
وارتعـد اللقـاء بلمسـة الغصـن المنـدّى،
واعتلـى الشـجرات، وابتـدأ القطـاف.
صلـى علـى الجسد الغيـورِ،
صلاتـهُ الأولـى

وأبدى رغبة أن يفتديه بالدّموعِ..
وأن يصبَّ الخمر فوق رضابهاء
ليعيش أفكار التجسّدِ،
في نسيم الانتشاءْ،
هي تربتي..
وأواجه الأيّام فوق بساطها الشادي،
وابتدىء الزمان منّ المكانْ
حطّي جميع أصابعي،
في ليلك السّاديِّ،
وأشوي جبهتي بحرارة اللّقيا،
ولا تتأمّلي الشمس الشريدة
حينما تصحو على المزمار في الساحات،
يحترق الحنين على شموع المهرجانْ.
لا تتركيني في رحاب الصدر ساعاتٍ،
فإنّي ربّما أجتاز مرحلة الأمان .
يا عطري المنسوج من زهر التهجّدِ،
سامحيني، واغفري الزلاّتِ،
واسترخي على جسدي الرتيب،
ورتّلي الأحلام فوق وسادتي،

وتربعـي فـي بـرزخ،
يمتدّ منْ روحـي إلـى بحـر الحنـانْ

هي أمّتــي:
لكنّني اسـتحييتُ مـن عـزم تـردّد،
واستفاق لسـانه العصبـيّ،
يشـدو مـا روى مجنـون ليلـى،
وابن قيـسٍ
مـنْ حكايـاتٍ يخبيهـا المكـانْ.

*****

- للوقت مرحلة، وللأمل امتحان -

هو الوقـت،
أسرع مـنْ قبضـة الرّيـح،
يبني منَ العشـق فـوق الجبـالِ هـوىً،
في صباح تمـزّق فـي غفلـة اللّيـل،
تسـتره العتمـة الحالكـةْ.
يسـافر فـوق قطـار الرجـوع،
علـى طرقـات الهوى والحنيـنِ،
إلى بلـدة الأمـل النازفـةْ.
ترافقـه.. أجمـل الأمنيـاتِ،
فـيرفع صرحـاً
ويهـدم صبحـاً،
ويشـرب خمرتهـا المشـتهاة،
ويعلنهـا صرخـة عارمـة.

ويعلن أن التوحّد،
ليس طريق الخلاص.
وأن التفرّد بالعاشقين،
بدايةُ أكذوبة المرحلة.

ويقطف منْ شجراتِ التوتّر،
وردة عشقٍ،
يلونها ببريق الترهّل،
يرسم فوق خدود العذارى،
حروف قصيدته الواجفهْ.
هو الشّبقُ العبقريّ،
تنامى على كتفيهِ،
وأدى صلاة الخنوعِ،
بغير وضوء،
على سلّة الأحرف النّاقصة.

هو الصيف،
فاخلعْ رداءك وامض،
فإنّ العذارى على شاطىء البحر،
يخرجْنَ من ثورة العاصفةْ.

على قدرٍ منْ رحيلِ الفصولِ،
نعدّ خطانا،
ويبدأ موسم عزف الأغاني،
على وترِ الضحكة الناشفةْ.

هو اللّيلُ:
يسترعُرْي النّشيد،
ويرفع عنْ فخذ الأمسياتِ،
أصابع منْ ترف العابثينَ،
على جُرف العورة الخائفةْ.

هو الصّبحُ:
فاغسلْ خدود العذارى
بدمعة عِشْقٍ،
فللعشقِ دمعتهُ المشتهاةُ
وللدمع صرختهُ الصامتهْ

يحاورك الصّمتُ بعد التلوّث بالموبقات،
ويمشي على جسمك الواعظون،

وينزع سترك قبل الصلاة،
على شفة البسمة الحارقةْ

تبدّى نهارك،
فامسحْ جبين العذابِ،
وسارع إلى مصدر النّبع،
واشربْ.
فللنبع قوته الدافقةْ

هي الأرض،
فازرع نشيد الكؤوسِ،
على تربة الجسد اللّيلكيِّ
وهيّء لنفسك صرحاً عليّا.
لكوكبة النّور،
يحلو الكلامُ،
ويمشي إلى طبعك الهمجيّ،
ارتعاش الضّحى،
واحتلام المكانِ،
وخمرة بسمتك الحالمةْ.

أتـزرعُ فـي شـفتيكَ الكـلامَ؟
وتقطـف وردة عشـق الصّبايــا،
أصـابعُ رعشـتها النّاعمــةْ؟!

هو الوقْـتُ،
تـاجٌ مِـنَ الأقحـوانِ،
حدائـق وردٍ
ونـزف دمـاء
وسـنبلة البيـدّر الراعفـةْ،

هــي الأرض،
تمضــي إلـى مبتغاهـا،
ونمضــي إلـى ساحة الجـرح نتلـو:
(حمـاة الديـار عليكم سـلامْ)

مزيد مـنَ الشّـوق،
أهّلنــي لاعتـلاء السـرايا،
أفتّش عن طـائر الأمنيـات،
وترهقنــي لغـة الشـعراء.

فـأرحل فـي عـالم الدندنـات:
(أبـت أن تـذل النفـوس الكـرام)

وثمّة مـا يجـرح القلـب،
والأمـلُ المسـتباحُ؛
تجـاوز شـرعتَهُ الامتحــانْ.

•••••

- جزيرة من رماد

فسد الـدواء وفـي جميـع مفـاصلي لهـبٌ،
وفي صمّـام قلبـي
كومة تلـد الرمـاد .
في داخلي أسـرار هذا الكـون
فـي الأعصـاب أغنيـة
حروف مـنْ سـواد
فتّشتُ فــي نفسـي عـن الأسـباب،
فـارتحلت قنـاديلي
وأشـعلت الحقيقـة،
شـمعة بيضـاء
بانت فــي ديـاجير الظـلامِ
ونـوّرت ظـلّ المكـان
ظلٌّ على ظـلّ،
كمـا الأمـواج يتبـع بعضـها بعضـاً،

وتنساق الرّياح إلى الشّواطئ
والهوى ورد تبدّى عارياً بين اختلاجات البحار
أو كلما حاولت شمّ الوردِ،
يفضحني الزكامُ؟
وتعتريني نوبة؟
وتحوم حولي هالة
مدّت ضفائر منْ غبار؟!
لا تقتلوني يا رعاة القوم
فالصحراء لا تقوى على جمع القطيعِ
وما البحار سوى سراب في شرايين العطاش.
رَحلت بحاري،
عندما رحلت إلى الصحراءِ،
صحراء الخريطة
كيفما شاءوا
على كعب الحذاء
ضيّعتُ ألواني،
وقد خلطوا البياض مع السّواد
لا تقتلوني بالذي ما كان إلاّ دمية
صنعوا أصابعها من الخزف المزخرف

واستعاروا منْ دمي شريانها،
ومن العظام
ومن بياض كهولتي ريش الحرامْ
سمّوا حياتي مثلما شئتم
فإنّي جمرة لابد أن تشوي الأصابع
قبل أن تلد الرّمادْ
كُشِفَ النقاب عن الحقيقة،
بعد ما جعلوا منَ اللبلاب دالية تداعبها الرّياح
تخضّر أو تصفرّ عند توهج الأنوار
عارية من التّعب المخضّل بالرؤى
واللّيل يبتلع النّهار
ردّوا إليّ قصيدتي
فمعي سلاف الرّوح أغنية
وعندي ألف لونٍ للأنشاخْ.
الآن يبتدىء الجواب
ويرتمي اللّحن الشجيّ
حمامتان تعانقان الصدر
والصيّاد لا يقوى على طرق الزناد؟

ألـوان فاتحـة البنفسـج
والنّـوى فـي زرقـة العينيـن دنّ للشـرابْ
ويجيء صـوت من جبـال البعـد،
مبلولٌ بدمـع غزالـة
نفـرت وعاكسـها القطيـع،
وضيّعـتْ شمس الإيـابْ
لا تشـغلي بـالي
فعنـدي ألـف راحلـة،
وعنـدي دمـع عاشـقة
وعنـدي لمسـة الهـادي
علـى شطآن مملكـة الغـروبْ.
لا تـتركي رسـمي علـى جدرانـك الحمـراءِ،
يا امـرأة الخطايـا
فالذي كـان انتهـاءً
والذي يـأتي
بدايـات الحسـابْ.

*****

المحتويات :

***



رقم الإيداع في مكتبة الأسد الوطنية .

شراع وعاصفة : شعر / محمد ابراهيم عياش- [دمشق]: اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨- ١٢٧ ص؛ ٢٠سم.

١- ٨١١,٩٥٦١ع ي ا ش ٢- العنوان

٣- عياش

ع : ٧٢/١/١٩٩٨ مكتبة الأسد

□



هذا الكتاب

مجموعة من الشعر الوجداني يميزها مخيلة خصبة ولغة صاخبة عذبة متفجرة بالموسيقا.

ونضج فني واضح وقدرة على ابتكار الصور الجميلة الموحية وعلى استخدام رموز تاريخية غنية بالايحاءات وجرأة في النفاذ إلى جزئيات الأشياء وثنايا الوجع ويميز مقطوعات هذه المجموعة بغنائية عذبة وهمس وجداني شفيف.

ثمن النسخة ١٠٠ ل.س في الق

١٢٥ ل.س في أقطار الوطن العربي

مطبعة اتحاد الكتاب العرب

دمشق